2-التطور التاريخي للاثنوغرافيا:

لم يظهر مصطلح الإثنوغرافيا إلا في سنة 1767، حيث ورد هذا المفهوم في كتاب **جوهان فردريك شوبيرلان** (1732-1772) Johann Friedrich Schöpperlin، وكان المصطلح يعني باقة من طبعات الكتب المتنوعة والمختلفة. وبعد ذلك، تأسست بفرنسا جمعية إثنولوجية سنة 1839م تهتم بالإثنولوجيا الطبيعية والثقافية من جهة، والبحث الإثنوغرافي من جهة أخرى. وكانت الإثنوغرافيا في روسيا تعني علم الشعوب[1].

ولقد انتشرت الدراسات الإثنوغرافية كثيرا بفعل الاستعمار في **القرن الثامن عشر**، وكان الهدف منها دراسة الشعوب المستعمرة، والبحث عن خصوصياتها الإثنية، واللغوية، والعرقية، والاجتماعية، والثقافية، والحضارية، ولقد استعان بها المبشرون في حملاتهم التنصيرية بشكل خاص. (لصعوبة فهم القبائل في إفريقيا خاصة) [2].

وبعد انتهاء الاستعمار، تخلت الدول الغربية عن دراسة الشعوب الضعيفة والمتخلفة والبدائية لتنكب على مجتمعاتها وجماعاتها الخاصة بها. ومن ثم، فلقد انفتحت الإثنوغرافيا على موضوعات معاصرة كدراسة الطبقات الاجتماعية، ودراسة الإثنيات والأقليات والهويات المجتمعية القليلة العدد، ودراسة الجماعات الغريبة والمختلفة عن الجماعات المتحضرة والمتمدنة، ودراسة جماعات المدرسة... وكان **مارسيل غريول** هو الذي حدد في كتابه (منهج الإثنوغرافيا)، بأنها الفرع المعرفي الذي يحيط بأنشطة

[1] جاك لومبار، مرجع سبق ذكره، ص:12.
[2] من محاضرات د. مخلوف بوكروح، مادة المنهج الاثنوغرافي، جامعة الجزائر 3، 2013.

الشعوب المادية والروحية، ويدرس تقنياتها وأديانها وشرائعها ومؤسساتها السياسية والاقتصادية وفنونها ولغاتها وأعرافها [1].

انتشرت هذه الدراسات في الجزائر بإنشاء جامعة الجزائر عام 1909 (أي في بداية القرن 20)، هدفها الأساسي هو دراسة الشعوب التي لا تعلم عنها شيئا من جانب السلوك، والعادات والتقاليد... وخاصة من الجانب الديني ومحاولة تحضير هذه المجتمعات، أي كانت لفرنسا: مهمة دينية وحضرية.

ألغي هذا التخصص في الجزائر في بداية السبعينات من القرن الماضي، باعتباره منهج استعماري أي أنه مرتبط بالحملات الاستعمارية.

3-خصائص المنهج الاثنوغرافي:

من أهم خصائص المنهج الاثنوغرافي نذكر:[2]

- يختلف المنهج الاثنوغرافي عن باقي الأبحاث الأخرى بمنهجيته في إجراءاته وأهدافه حيث أنه يقتضي قيام الباحث بمعايشة المجتمع موضوع الدراسة، وما يميزه عن باقي الأبحاث الكمية ففي المنهج الاثنوغرافي يمكن للباحث أن يثير ردود أفعال معتمدة لدى المبحوث وتلك الطريقة تسهل اكتشاف أهم السلوكيات والقيم...
- التعمق والتجرد من أي أحكام سابقة وعدم الاندهاش من أي شيء قد يبدو لديه غريبا.
- محاولة التعايش مع العينة أي داخل المجتمعات المدروسة دون الوقوع في خطر الذاتية (مصداقية الباحث فهو مطالب بالموضوعية التامة) يعتبر من أهم الشروط الواجب التقيّد بها.

[1] جاك لومبار، نفس المرجع السابق، ص:12.
[2] مارك أوجيه وجان بول كولاين: الأنثروبولوجيا، ترجمة: جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2008م، ص: 71-72.

- التمكن من اللغات وتجنب الاعتماد على مترجم لأن ذلك قد يفقد العمل مصداقيته.
- تدرس العادات والأعراف والتقاليد والطقوس والمعتقدات الدينية لجماعة محددة، في زمن ومكان معينين، بالتنقيب والاستكشاف ومعاينة الظواهر.
- يهتم المنهج الإثنوغرافي أيضا بدراسة طبيعة الشعوب القديمة وثقافاتها، وتعنى بأساليب عيشها، وتنكب على أنماط حياتها... علاوة على دراسة الجماعات المحلية والبدوية والقروية، والاهتمام بالجماعات المنعزلة الغريبة عن المجتمعات الحاضرة، ودراسة القبائل والعشائر المختلفة عن الشعوب المتمدنة والمتحضرة. فضلا عن العناية بمشاكل الجماعات والمجموعات التي يعرفها عالمنا المعاصر[1].
- يهتم كذلك المنهج الإثنوغرافي بدراسة مواضيع معاصرة جديدة كالتركيز على المدرسة والجماعة على المستوى المحلي، ودراسة المؤسسة والفصل الدراسي في ضوء المجتمع المصغر، مع الاستعانة بالملاحظة والمعايشة وطرائق البحث الميداني، واستعمال المقابلة بشتى أنواعها، والتركيز على الوحدات الصغرى، مثل: المتعلم، والمعلم، إلخ...[2].
- على الباحث الابتعاد عن المبالغة في التأويل[3].

[1] محمد عبده محجوب: الأنتروبولوجيا الاجتماعية، دراسات نظرية وتطبيقية، دار المعرفة الجامعية، مصر، الطبعة الأولى سنة 2009م، ص:13.

[2] Sirota.R : (Approches ethnographiques en sociologie de l'éducation : l'école et la communauté, l'établissement scolaire, la classe), in : sociologie de l'éducation (dix ans de recherches), L'Harmattan, 1990, pp : 180-181.

[3] مارك أوجيه وجان بول كولاين، نفس المرجع السابق، ص73.